مقدمة

الحمد لله الذي ألهم الإنسان وسائل البيان ، وميز العرب بأوضح بيان وأفصح لسان ، وكفل للعربية رقيها حتى نزل بها القرآن ، أحمده على نعمتي الإسلام والإيمان ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي هو أفصح العرب لسانا وأبلغهم بيانا ، المصطفى لتبليغ رسالة لا يقوم بها إلا من سمت بلاغته واكتملت فصاحته .

ويعد

فإن خير الدراسات العربية وأعلاها وأنبلها وأسماها ، ما كان موصولا بكتاب الله عز وجل ، إذ هو أشرف الكتب قدرا وأصدقها لسانا ، وأفصحها بيانا ، والدراسة إنما تشرف بشرف موضوعها ومرماها .

ولا شك أن القرآن الكريم هو أول أصل من أصول النحو العربي ، وأن خدمة هذا الكتاب من أول الأهداف التي يتطلع إليها من استنار قلبه بنور الإيمان .

ولهذا عني كثير من العلماء في مختلف العصور بتناول أسلوبه بالدراسات النحوية والعربية ، فتنورت دراساتهم بأنواره ، وتعطرت بنفحات شذى أسراره ، إذ هو في مضمار الفصاحة والبلاغة يعتلي الذروة ، ويتربع على القمة ، وهو المرجع الصادق الذي يرجع إليه العلماء لمعرفة الصواب والخطأ في قواعدهم وقضاياهم .

وقد كانت ثمرة الجهود النحوية في هذا المجال تلك الدراسات المتصلة بالنحو القرآني ، وإذا كان الفراء ـ وهو أحد أئمة النحو الكوفي ـ قد تناول القرآن الكريم بالتوجيه في كتابه (معاني القرآن) راسما فيه خطوط المذهب الكوفي وموضحا ملامحه، فإن أبا إسحاق الزجاج ـ وهو أحد أئمة النحو البصري ـ قد تناوله بالتوجيه في كتاب له بنفس الاسم راسما فيه خطوط المذهب البصري وموضحا ملامحه ، ويعد كتابه في ذلك صورة صادقة وافية لقواعد البصريين .

ولم يؤثر عن الزجاج كتاب آخر يقرر فيه أحكام النحو إلا كتابه ما ينصرف وما لا ينصرف ، وهو خاص بالأسماء الممنوعة من الصرف ، وإن كان قد استطرد فيه إلى أبواب نحوية أخرى قليلة .

ولما كانت آراء الزجاج المتداولة في كتب النحو ينقصها شيء من الدقة مع حاجة الباحثين إلى توثيقها من كتبه راودتني فكرة استخلاص ما تحدّث عنه الزجاج من أحكام النحو وقواعده في كتابيه المذكورين ، وتقسيم ما ورد من ذلك في فصول نحوية مرتبة بحسب الترتيب المشهور بين النحويين في هذا العصر ، وهو ترتيب ألفية ابن مالك وشروحها ، فجاءت هذه القواعد والتوجيهات في اثنين وأربعين فصلا تبدأ بفصل الكلام وما يتألف منه ، وتنتهي بفصل كنايات العدد ، وذلك يسهل للباحثين معرفة رأيه ومذهبه في كل مسألة بالرجوع إلى الفصل الذي تورد فيه .

ويجدر بي أن أنبه على جملة أمور :

أولها : أن علاقتي بالزجاج بدأت منذ أن شرعت في إعداد رسالتي للدكتوراه بعنوان (النحو القرآني بين الزجاج وأبي علي الفارسي) ، وذلك منذ بداية عام ١٩٧٥م ولم يكن معاني الزجاج قد طبع في ذلك الوقت فاعتمدت على نقل مسائل الزجاج النحوية وتوجيهاته من نسخ المعاني المخطوطة .

الثاني : أنني اعتمدت هنا كثيرا في نقل عبارات الزجاج على النسخ المخطوطة من معانيه ، لكني أحلت القراء إلى النسخة المطبوعة تيسيرا عليهم ، وذلك يفسر وجود بعض الاختلاف في العبارة بين ما أثبته هنا وبين المثبت في النسخة المطبوعة .

الثالث : أنني أردت أن يكون الكتاب صورة لنحو الزجاج بغض النظر عن أثره في اللاحقين أو تأثره بالسابقين ، فلهذا لم أثقل الكتاب بكثير من المناقشات التي أوردتها في رسالتي المذكورة ، ولم أستثن من ذلك إلا ما يتعلق ببيان بعض القراءات أو الرد على الزجاج في تخطئته لها .

هذا ، وسأقدم لهذه الفصول بمدخل يشتمل على ثلاثة أمور وهي :

١ـ التعريف بأبي إسحاق الزجاج .

٢ـ التعريف بكتابه (معاني القرآن وإعرابه) .

٣ـ التعريف بكتابه (ما ينصرف وما لا ينصرف) .

وبالله التوفيق